قصر الطوبة *

الموقع:-
يقع قصر الطوبة إلى أقصى الجنوب من مجموعة القصور الأموية في بادية الأردن على حافة وادي الغدف وقد أكتشف من قبل الرحالة موزل ١٨٩٨ قبيل اكتشافه لقصير عمرا وهو على بعد ١٤٠ كم جنوب شرق مدينة عمان و٧٤ كم جنوب الأزرق الجنوبي و٤٦ كم الى الجنوب من قصر الحرانة وعلى بعد من قصر المشتى ويبعد مسافة ٧٠ كم الى الشرق من القطرانة.
بني القصر على الجانب الشرقي لوادي الغدف ونعتقد أن هناك سواء في اختيار الموقع لأن الدراسات الجيولوجية تدل على ان جريان المياه في المناطق ذات الالتواءات يؤدي إلى حت الجهة المقابلة للماء مباشرة وإلقاء الحمولة على الجانب الاخر ،وربما يفسر هذا سبب الانهيارات في الجزء الغربي من القصر .
يبلغ ارتفاع القصر عن سطح البحر ٧٥٠م، أما خطوط الطول ودوائر العرض للمنطقة التي يقع بها فهي ضمن الإحداثية التالية: حسب النظام العالمي (umscords 208900) شرقا و (umscords 346840) شمالا.
يمكن الوصول إلى منطقة القصر من عدة طرق :-أول الطريق (عمان سواقة –قصر الطوبة)او طريق (الأزرق –قصر الطوبة)، وهناك طريق يبدأ من قصر الحرانة ويمكن اتباعة مسافة ٤٦كم باتجاه الجنوب للوصول الى قصر الطوبة .
التسمية :-سبب تسمية القصر بهذا الاسم يعود لمادة البناء التي أنشئ منها القسم الأكبر من القصر وهي مادة الطوب .والطوب في اللغة :الآجر والطوب الاجر بلغة اهل مصر .والطوبة الاجرة تسمية او رومية ،والاجر الطين والطوب بالضم واخره باء ، وهو الاجر .أما الطوب في الاصطلاح يعني :الاجر وهو الطين المجفف بالشمس او المشوي بالنار . وهو من أهم المواد التي استعملت في البناء في معظم البلاد الاسلامية وخصوصا في الأماكن التي يقل فيها الحجر .وكذلك تطلق على القصر تسمية اخرى وهي (طوبة الغدف)وذلك نتيجة لاسم الوادي الذي يقع فيه القصر وادي الغدف .يتضح مما سبق عرضه بشان تسمية المكان ان السبب المباشر في هذه التسمية هو مادة البناء التي بني منها القصر واطلقت الكلمة في مراحل لاحقة على القصر .
تاريخ القصر ١-المصادر التاريخية: لم يرد ذكر صريح لقصر الطوبة في المصادر التاريخية القديمة،ولكن كل ما لدينا من معلومات عن القصر تعتمد على ما ذكره بعض الرحالة والمستشرقين الذين زاروا القصر ودرسوا اثاره المتبقية . وما ذكره بعض الكتاب المحدثون في نسبة هذا القصر الى الفترة الاموية المتاخرة وإرجاع بنائه الى الخليفة الاموي الوليد بن يزيد (١٢٦هـ) الذي استخلف في نهايات الدولة الاموية ،ولم تدم خلافته أكثر من سنة وثلاثة أشهر .لذلك قمنا بالبحث في المصادر التاريخية عن صحة هذه المعلومة وما يدل عليها ،واعتمدنا في دراستنا لتلك المصادر على دراسة حياة الخليفة الوليد بن يزيد الذي ينسب اليه القصر والبحث عن الأماكن التي كان يقوم بها منذ عهد اليه ابوه يزيد بن عبد الملك بولاية العهد حتى مقتله سنة (١٢٦هـ). فقد عقد ابوه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد اخيه هشام بن عبد الملك ، وكان الوليد بن يزيد حينئذ ابن إحدى عشرة سنة.ولما توفي يزيد كان عمر ابنه الوليد خمس عشرة سنة.وتذكر الروايات التاريخية ان يزيدا قد ندم على استخلافه هشاما قبل ابنه الوليد وكان إذا نظر إليه ابنه الوليد ،قال :الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينكم، فتوفي يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة
فلم يزل الوليد مكرما عند هشام رفيع المنزلة حتى ظهر من الوليد تهاون بالدين واستخفاف به وكان يحمله على ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدبه .واتخذ الوليد له ندماء فاراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة تسع عشرة ومائة ولكنه أظهر في ذلك تهاونا واستخفافا بالدين .وبلغ ذلك هشاما

* د. حلمي الظراوية: جامعة مؤته

فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام فأصبح هشام يعيب الوليد وينقصه في مجلسه ،وحاول خلعه الا ان الوليد أبى ذلك ،وأخذ يحرمه من العطاء وبحرمه سائر موالية .وجفاه جفاءا شديدا.فلما رأى الوليد ذلك خرج وخرج معه أناس من خاصته وموالية ، فنزل بالازرق بين ارض بلقين وفزارة، وعلى ما يقال له الأغدف. ويذكر المورخ ابن الاثير ، الازرق بالاردن بقوله فنزل بالازرق على ماء له بالاردن .' اما المورخ ابن كثير فيذكر ،أن الوليد فر من عمه هشام إلى الصحراء دون تحديد اسم مكان معين فيها وبقي الوليد مقيما في تلك البرية حتى مات هشام وجاءه خبر خلافته.

وقد دامت خلافة هشام تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحدا وعشرين يوما، وبويع الوليد بالخلافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان عمره حينذاك اربعا وثلاثين سنة.

لم يختلف حال الوليد وهو خليفة عما كان عليه قبل خلافته،بل ازداد تهاونه واستخفافه بأمر الدين وازداد شرا ولهوا وركونا للصيد،فأثار ذلك على الأمراء والرعاية والجند،وكرهوه كراهة شديدة وربما بنو هشام وبنو الوليد بالكفر والزندقة.وكان أشد فيه قول يزيد بن الوليد بن عبد الملك،وكان الناس إلى قوله أميل،لأنه أظهر النسك والتواضع،وكان يدعو الى الصلاح والدين والورع فبايعه الناس على ذلك فلما استوثق ليزيد من الوليد امه،وبايعه من بايعه من الناس جهز جيشا وسيرهم الى الوليد بن يزيد وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقد قتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الاخر سنة ست وعشرين ومائة ،وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر ومنهم من يقول سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما.

٢- **الرحالة والمستشرقين** :ذكر بعض الرحالة والمستشرقين الذين زاروا قصر الطوبة ودرسوا اثاره المتبقية ارجعوا بناءه الى الفترة الاموية المتاخرة وخاصة الى عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ١٢٦هـ. وكان من اوائل الرحالة الذين أرجعوا تاريخ البناء إلى عهد الخليفة الوليد بن يزيد مكتشف القصر موزل كان ذلك عندما اكتشف القصر عام ١٨٩٨م، وقام بدراسة اثاره وذكر بأن القصر يعود الى الوليد بن يزيد .

بعد ذلك قام موزل بدراسة المناطق الريفية السكنية للوليد الثاني في كتابه Palmyrena وبيّن أن أهم تلك المناطق التي كان يقطنها الوليد بشكل دائم كان الأغدف في مبنى أقامه لنفسه في ذلك المكان وقد كانت دراسة موزل لتلك المناطق معتمدة بشكل رئيسي على المصادر العربية القديمة كالطبري والاصفهاني وابن الاثير الذين ذكروا ان الوليد كان يقيم بالأغدف.

فقد ذكر موزل في دراسته أن الوليد الثاني كان مولعا بالحدود الشرقية لمنطقة البلقاء وحيث انه رافق اباه هناك كثيرا فقد كون علاقات وصداقات كثيرة لذلك فقد استقر هناك عندما لاحظ ان ما يثير غضب هشام هو بقاؤه في الرصافة او ما يجاورها وكان مكان استقراره في الاغدف.

ويذكر موزل ان المبنى الذي بناه الوليد ليقيم به في الاغدف ربما كان مرتبطا مع المدينة التي ذكرها ابن المقفع في كتابه (Sirr) حيث كتب ان المقفع انه في الصحراء وعلى مسافة (١٥)ميل من اقرب مصدر ماء بدا الوليد ببناء مدينة سميت باسمه وقام بإحضار الأشخاص من كل مكان وامرهم ان يسرعوا بالعمل . وقد ذكر كرزول أنه استخدم لجلب الماء ١٢٠٠ جمل الا أنها لم تكن تستطيع ان تحضر ماء يكفي ليوم واحد، وتوفى العديد من العمال بسبب العطش وقدمت الجمال الى مجموعتين كانت مجموعة تحضر الماء في يوم واحد والمجموعة الأخرى وعددها ستمائة تحلب الماء في اليوم الثاني.

ويضيف موزل اذا كانت المدينة التي اشار إليها ابن المقفع هي نفس المبنى الذي اقيم للوليد في الغدف فلابد ان الماء كان يحلب من الابار التي تسمى (غدير الديب) التي تقع على بعد ٢٣كم إلى الشرق وشمال شرق الغدف.ويضيف ايضا ان هناك بناية غير مكتملة عند المشتى ولكن موقعها الذي يقع ضمن مسافة (١٠كم) من مصادر المياه لا يتوافق مع التقدير الذي أشار إليه ابن المقفى .

واخيرا واعتمادا على عدد من المصادر التاريخية العربية يذكر موزل المناطق التي اعتاد الوليد السفر اليها فيذكر بانه يقوم بزيارات دورية الى مدينة عمان والى مستوطنة الازرق .
وفي وقت الربيع كان الوليد الثاني يقيم في باير وهو مكان كان يفضله في ذلك الوقت وكان هناك شاعر من الحجاز يقوم بزيارته في هذا المكان الذي يبعد (٧٠كم)الى جنوب شرق "طوبة الاغدف" وهو يقع على طريق القوافل والحج من المدينة عن طريق تيماء إلى سوريا.
اما عالما الاثار الفرنسيان جوسين وسفينياك اللذان زارا القصر بعد موزل ودرسا اثاره تطرقا في دراستهما المعمارية للقصر الى مسألة تاريخه والهدف كمدن بناته وقبل استعراض رأيهما في نسبة القصر الى العصر الاموي المتاخر وبخاصة الى عهد الوليد الثاني سنعرض اولا الاراء التي ناقشاها حول مسألة وظيفة البناء والسبب الذي بني من اجله .
فمن خلال دراستهما لابار القصر التي تقدم كميات كبيرة من المياه نظرا لعمقها يذكران أن وجود هذه الابار يشهد على اهمية قصر الطوبة في لحظة زمنية معينة وعلى الأرجح فان هذه الفترة لم تكن طويلة. وهذا الحكم يأتي بسبب هجر القصر قبل انجاز واتمام اعمال البناء وناقش الباحثان الفرنسيان الحوافز التي دفعت الى اقامة هذا القصر واستبعدا ان يكون نقطة عبور او محطة استراحة، وهو الامر الذي جعلهما يعتقدان بان بناءه كان نزوة احد ملوك الشرق وعلى افتراض ان نزوة الحاكم قد لبيت بسرعة باقامة القصر فان هذه النزوة لم يوافق عليها الخليفة اللاحق، ولذلك فان أعمال البناء لم تكتمل. ثم تساءلا عن وظيفة البناء. ووضعا ثلاثة افتراضات حول الغاية من بناء القصر :
الافتراض الأول :ان تخطيط البناء يدل على أنه خان قوافل او محطة استراحة ويبرران بان مخطط اي خان يشتمل بشكل عام على سور يحوي بداخله مساكن واصطبلات ويترك عادة سور واسع في الوسط وهو ما يشاهد في مخططات طوبة. ويذكران ان الساحتين المركزيتين والساحاتين بغرف أصغر ومساكن منتشرة بعطي إلى هذه الاثار مظهرا يدل على كونها خان، ويضيفان ان توزيع وتصميم الغرف بالمبنى لا يوجد بها تمايز فقد اخذت نفس التوزيع والشكل وهذا التنظيم بالذات يجعل من الصعب على المرء ان يفكر في طوبة كما يفكر بالمشتى . لأن قصر المشتى من خلال مخططه يلاحظ التمايز الواضح في توزيع وتصميم المرافق المختلفة بعكس قصر الطوبة، مما يدل على أن المشتى الشتي ليكون مسكنا للخليفة، إذ يجب أن يكون هذا المسكن متميزا عن باقي المرافق، اما طوبة فلو كان قصرا للخليفة لكان هناك تمايز .
وكذلك يشيران الى حجم الزخارف بانها تختلف في المشتى الذي اقيم لخليفة عن مبنى الطوبة الذي اتسم بالخشونة، ففي المشتى نجدها كثيرة وغنية اما في طوبة فلا يلاحظ ذلك .
واخيرا يخصص هذا الافتراض يقول الباحثان الفرنسيان بانهما لن يتقيدا بهذا الافتراض الذي يؤيد بان طوبة خان فقط. لان بناء القصر يشبه ايضا قصور الحج الحالية، ويشبه أيضا بعض مراكز البريد الرومانية التي يمكن أن يكون هدفها متعدد الاستخدامات والأغراض.
الافتراض الثاني :يفترض جوسين وسفنيات بان المبنى ربما انشئ ليكون قلعة ولكنهما ينفيان ذلك لأن بناء القلعة عادة يحتاج الى مكان ملائم اكثر ومرتفع ومشرف، ومكان طوبة ليس بالمكان الملائم لذلك، ولو اراد شخص معين ان يجعل من هذا البناء قلعة لاختار جبل (بدّة)القريب من طوبة وبنى القلعة، ويضيفان انه بالرغم من وجود الابراج المدعمة للجدران فانه لا يعني ان هذا القصر ذو طابع دفاعي وانما هذه الأبراج المدعمة للسور اقيمت لتشكل طابعا دفاعيا ضد البدو فقط من داخل المنطقة ولو كان طوبة ذا طابع تحصيني ضد اعداء من خارج المنطقة لكان في الأبراج فتحات للرماية ويصيف الباحثان بان الأبراج ربما كانت للتزين وليس للإهابة وكذلك البرجان المربعان اللذان بحيطان مانمدخلين الرئيسيين هما أيضا غرفتان عاديتان ولا تشبهان على الاطلاق اعمال التحصينات.

الافتراض الثالث :الافتراض الأخير الذي يذكره الباحثان الفرنسيان بخصوص وظيفة البناء ان البناء صمم لكي يكون مسكنا لعدة أسابيع في الربيع لأمير عربي مع حاشيته شبه الرعوية.
بعد الافتراضات التي قدمها الباحثان بخصوص وظيفة بناء الطوبة توصلا الى ان الافتراض الأخير هو الانسب بالنسبة لوظيفة القصر . فقد ارجعا تاريخ القصر الى العصر الأموي وذكرا ان القصر بني كمكان اقامة للوليد ويضيفان انه إذا كان قصر الطوبة يتطابق مع قصر الغدف فهذا يبدو مرجحا فان الاسم حفظ داخل القصر في وادي الغدف والذي على جانبه توجد آثار قصر الطوبة .
بالاضافة إلى اعتماد الباحثين في تاريخ القصر ونسبة بنائه الى الوليد الثاني على المصادر التاريخية القديمة فقد اعتمدا في تأريخه كذلك على النقش الذي وجداه في إحدى غرف القصر مكتوبا بالحبر الاسود الذي وجد ما يشابهه في قصر الحرانة.
وأخيرا، فقد اعتمد الباحثان الفرنسيان في تاريخ قصر الطوبة على مقارنته بقصر المشتى الذي بني في نفس الفترة من قبل الخليفة الوليد الثاني .
وكان كرزول أيضا من ضمن المستشرقين المهتمين بدراسة الآثار الذي أرجع تاريخ قصر الطوبة إلى العصر الاموي وبخاصة إلى عهد الخليفة الوليد الثاني وقد زار كرزول القصر وقام بوصفه والبحث في تاريخه .
وقد كانت دراسة كرزول لتاريخ قصر الطوبة مرتبطة مع دراسته لتاريخ قصر المشتى واعتبر الباحث في تاريخ القصرين معا أمرا واحدا لأن هذين البناءين متشابهان في أمور كثيرة .
مخطط القصر :الاطار العام لمخطط القصر مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب، وقد بلغت قياساته (٧٣,٨٥×١٤٠,٥م).ويتكون من مربعين متلاصقين تقريبا كل منهما يزيد طول ضلعه عن (٧٠)مترا وكل مربع منها يكون بناء مستقلا بذاته، ويتصلان مع بعضهما بواسطة باب عبر الجدار الذي يفصلهما من خلال ممر طويل.ويحيط بالقصر من الخارج أبراج نصف دائرية، بلغت خمسة ابراج في الجهة الجنوبية، واثنين في كل من الجهة الشرقية والغربية، إضافة إلى برج ثنيه دائري في كل زاوية من زوايا القصر الأربع .أما في الجانب الشمالي فالترتيب يختلف بسبب وجود البوابتين الرئيسيتين المزدوجتين إلى داخل القصر، يحيط بكل بوابة غرفتان مربعتان، هاتان الغرفتان ليس لهما وظيفة دفاعية كما يشير جوسين وسفنياك .
وبين البوابتين هناك برج نصف دائري أكبر حجما من الأبراج الأخرى وله ما يقابله في الجهة الجنوبية، وقد اقسم البرجان، كل برج الى قسمين متساويين بواسطة جدار رفيع يسير على خط واحد مع الجدار الفاصل بين قسمي القصر وقد استخدم كل منهما كدورة مياه .ويؤدي كل مدخل الى ساحة مركزية بلغت مساحتها (٣٠×٣٠م) تفتح عليها أبواب من الجهة الشرقية والغربية تؤدي بدورها الى غرف القصر حيث تجد إلى الشرق وغرب الساحة المركزية ساحتين صغيرتين في كل جهة تفتح على غرف القصر الشمالية والجنوبية .
ويلاحظ ان الغرف قد بنيت حول الفناء المكشوف في شكل مجموعات أو وحدات سكنية إذ ان كل قسم من أقسام القصر الغربي والشرقي يحتوي اربع وحدات سكنية، اثنتين في الجانب الشمالي يفصل بينهما المدخل الرئيسي للقصر يقابلهما اثنتان في الجانب الجنوبي. وفي كل وحدة سكنية ساحة يحيط بها غرفتان من الشرق وغرفتان من الغرب .
إن بناء القصر لم يكتمل فقد بني جزء كبير من القسم الغربي والسور الشمالي والذي نلاحظ أن أجزاء فيها ما زالت قائمة إلى الان. أما القسم الشرقي والسور الجنوبي منه فلم يبنيا ولكن نستطيع متابعة مخططهما من خلال الأساسات .
ومن الجدير ذكره ان أول مخطط وضع لهذا القصر كان من قبل مكتشفه موزل ثم جاء بعده الفرنسيان جوسين وسفنياك وقاما بتعديل مخطط موزل وقد اشتمل التعديل على النقاط التالية:

١ كان التعديل الرئيسي هو استبدال الساحة الرئيسية التي وضعها موزل في وسط المخطط والتي يحيط بها ساحتان من جانبيهما الشرقي والغربي بأربع غرف وعلى جانب كل غرفة ساحة صغيرة. ويفصل بين الغرفتين الغربيتين والغرفتين الشرقيتين نفس الجدار الذي يقسم القصر الى قسمين متساويين الغربي والشرقي والذي يمتد من الشمال من مركز البرج ج ١٠ الى مركز البرج ج٥ في الجنوبي . وكذلك يفصل الغرفتين الشماليتين عن الغرفتين الجنوبيتين والساحات التي تقع على جوانبها الممر الطويل الذي يصل بين قسمي القصر المتماثلين الغربية والشرقي وبذلك فان هذا التعديل الذي اجراه الفرنسيان جوسين وسفنياك على مخطط موزل قسم القصر الى قصرين متناظرين.

٢ التعديل الثاني كان استبدال الأبراج الستة النصف دائرية التي وضعها موزل على سور القصر الجنوبي والتي قسمته الى سبع مسافات بخمسة أبراج نصف دائرية قسمت السور الى ستة مسافات متساوية .فالبرج الأوسط منها يقابل البرج الذي يقع بين بوابتي القصر على السور الشمالي في مخطط موزل .

٣- نتيجة للتعديل الذي أجراه جوسين وسفنياك على السور الجنوبي فقد تغير كذلك عدد الساحات والغرف والمحيطة بها في الجانب الجنوبي من القصر عما كانت عليه في مخطط موزل. فبعد أن كانت ست ساحات يحيط بها على جانبيها غرفتان أصبحتا في مخطط جوسين وسفنياك ساحتين في كل قسم من قسمي القصر ويحيط بهما غرفتان على كل جانب من جانبيها وبذلك فانه تصبح في المخطط الأخير عبارة عن وحدتين سكنيتين في كل قسم وكل وحدة تتكون من ساحة يحيط بها على كل جانب غرفتين بالاضافة الى غرفتان صغيرتان تقعان على جانب كل واحدة.

٤- نتيجة للتعديل الذي أجراه جوسين وسفنياك على السور الجنوبي وكذلك التعديل الذي أجرى على الغرف والساحات التي تقع في الجانب الجنوبي من القصر، فقد رافق هذا كله تعديل في أماكن الابراج فبعد أن كانت في مخطط موزل تقع في وسط الجدار الجنوبي لكل ساحة نراها في مخطط جوسين وسفنياك لا تقع في وسط جدار الساحات وانما تنحرف عن الوسط اما الى الشرق أو إلى الغرب ولكن التجويف النصف دائري الذي كان في وسط كل برج في مخطط موزل قد بقي في مخطط جوسين وسفنياك في وسط الجدار الجنوبي ولكن ليس في وسط البرج.

٥- التعديل الاخير كان تقسيم البرج الذي يقع بين بوابتي القصر على السور الشمالي في مخطط موزل بواسطة الجدار الفاصل بين قسمي القصر الى قسمين كل قسم يشكل ربع دائرة استعملت كدورات مياه في القصر .

بعد زيارة جوسين وسفنياك للقصر وتعديل المخطط الذي وضعه موزل قام كرزول بدراسة القصر واعتمد في دراسته على مخطط جوسين وسفنياك بعد أن أجرى التعديلات التالية عليه :

١. التعديل الأول الذي اجراه كرزول كان في القسم الغربي من القصر وتحديدا في الساحتين ١٠،٣٥ ففي مخطط جوسين وسفنياك تظهر الساحات ممتدة حتى السور الغربي وغير مفصولة عنه بينما تظهر الساحتان المتناظرتان لهما في القسم الشرقي من القصر وعلى نفس المخطط تظهران مفصولتين عن السور الشرقي ويفصلهما عنه غرفتان عرضهما (٤م) تقريبا.ونلاحظ أن جوسين وسفنياك يؤكدان هذا الفارق بين قسمي القصر ويذكران أن هذا الفارق هو الأكثر أهمية وربما الوحيد الذي يوجد بين مخططات أجزاء القصر. أما التعديل الذي أجراه كرزول على تلك الساحات فقد كان بان جعلهما مفصولتين عن السور الغربي بواسطة امتداد الجدار الغربي للغرفتين (٣م+ ٤م) عبر الجانب الغربي من الساحتين (١٠ +٣٥). ويذكر كرزول أن جوسين وسفنياك لم يلاحظا اتصالات الجدار في المخطط الذي وضعه ولذلك أكدا أن هناك فرقا بين القسم الغربي والقسم الشرقي من القصر وبذلك تصبح الساحتان مفصولتين عن السور الغربي

- الأقنية الساسانية المقنوية: تعد من المظاهر الساسانية وقد ظهرت هذه الزخرفة في الزخارف الأموية وبشكل كبير في قصر الحير الغربي، خربة المفجر، الحلابات .
- زخرفة قشور السمك :هي زخرفة تشبه حراشف السمك وقد استخدمت في الفنون القديمة كما كانت شائعة على زخارف الجص الساسانية، اما في العصر الأموي فقد ظهرت في قصور الحير الغربي، خربة المفجر، الحلابات، القسطل.
- كوز الصنوبر ذو الشكل البرعومي : ظهر استخدام هذا العنصر في الفن الساساني، ويعود بأصوله إلى الفنون الاشورية، كما استخدم في القنزة الرومانية . وقد استخدم في الفن الاموي في تصيفساء قبة الصخرة، وفي زخرفة قصور خربة المفجر، الحير الغربي، القسطل، وفي المشتى والطوبة.

المرفقات المائية –الابار :بالرغم من الفيضانات الجارفة التي تحدث في وادي الغدف نتيجة للامطار الغزيرة في بعض المواسم والتي ادت وما زالت إلى تدمير جزء كبير من القصر فإن ثمة سنوات او مواسم يكون الطقس فيها جافا، ولذلك فقد حفرت بعض الابار العميقة من أجل تغذية قصر الطوبة بالمياه.

البئر الأول: (مخطط رقم ١) وهو البئر الاكثر قربا من القصر ويقع إلى الشمال منه ويبعد عن القصر ٢،٥ كم، ويقع على الحافة اليسرى من وادي الغدف ،ويبلغ قطره ٢،٨٣ م،ويصل عمقه إلى ٣٠ م تقريبا، تبلغ المساحة المبينة بواسطة الحجارة من فوة البئر الى الأسفل ٤،٦٠ أما بقية العمق فقد تم حفره بالصخر . وبجانب البئر يوجد حوض مساحته ٤،٤٩ × ٤،٩٣ م ويبلغ عمقه متر واحد ويبدو أنه كان يستخدم لري الماشية.

الى الجنوب من البئر تمتد أطراف الدائرة المشكلة بواسطة مداميك الحجارة على ارتفاع مدماك واحد يبلغ قطرها ٥،٧٥ م، وداخل الدائرة مملوء بالحجارة ويبدو أنها مساحة بنيت لتمشي عليها الحيوانات أو لتلف بطريقة دائرية لتشغيل الناعورة او الساقية التي تعمل لرفع المياه من البئر، ويبدو انه كان يوجد دعامتان تقومان بامتداد التاعورة. ونلاحظ وجود دائرة مناظرة لها بجانب البئرين الاخرين في هذا القصر، وكذلك في ابار قصير عمرة. ونلاحظ كذلك هذا النظام المائي في قصر البرقع.

البئر الثاني: (مخطط رقم ٢) يقع إلى الشمال من البئر الأول ويبعد عنه حوالي ٥٠٠م وموقعة كذلك على الحافة اليسرى لوادي الغدف.لم يرد ذكر هذا البئر من قبل الرحالة الذين زاروا القصر وزاروا ابارة الأخرى فقد تم اكتشافه حديثا، ولا يظهر من عمقه إلا مترين تقريبا والباقي مطمور بالاتربة والحجارة، وهو يأخذ شكلا دائريا بقطر ١،٨٠م، وسماكة الجدار ١،٧٠م، ولكن لم نلاحظ وجود الحوض او وجود الدائرة كما في البئر الأول ولكن يبدو أن طريقة بنائه تشبه طريقة بناء البئر الأول، حيث يبنى أولا بواسطة مداميك من الحجارة أما باقي العمق فيتم حفره بالصخر

البئر الثالث: (مخطط رقم ٣)

يقع على الجانب الأيمن من وادي الغدف وعلى مسافة ١٥٠م تقريبا باتجاه ٥٥ درجة شمال شرق البئر الثاني، ويبلغ قطره ٢،٢٠ م، ويصل عمقه إلى ٣٠ م تقريبا.ويظهر بناء البئر على ارتفاع متر فوق مستوى سطح الأرض، وقد بني البئر بواسطة ١٨ مدماك من الحجر أما اسفله فقد نحت في الصخر.وفوق هذا البناء المغطى بحجارة عريضة تم بناء جدارين أو مساحتين متوازيتين A.B وذات عرض غير متساو وذات طول غير متساو بشكل أكبر والتي بنيت ربما لتسند نظاما معينا لسحب المياه من البئر، المساحة A ثقبت في منطقة الوسط على شكل فتحة صغيرة، وحول فتحة البئر تم تحزيز البلاط بعرض ١٠٠ سم من أجل أن يكون بالإمكان وضع غطاء للبئر .

يجاور البئر من الأعلى حوض يبلغ قياسه ١.٨٥ × ٣.٥٠ م وجزء كبير من الحوض مدمر مقابل الحوض السابق ومن الجهة المقابلة نرى آثار لحوض اخر كان قد بني ولكن نلاحظ من اثاره انه أصغر من البئر السابق. بجانب البئر نلاحظ آثار دائرة بنيت قطرها ٦.١٠م وهي شبيه بالدائرة الموجودة في البئر الاول ولها نفس الوظيفة.

البئر الرابع: (مخطط رقم ٤)

يقع على الضفة اليمنى لوادي الغدف مسافة ٢٠٠م إلى الشمال من البئر السابق بانحراف ١٠ درجات الى الغرب، ومخطط هذا البئر يشبه الى حد كبير مخطط البئر الأول ويبلغ قطره ٢.٢٥م، ويقدر عمقه ٤٠م تقريبا، بجانب البئر حوض تبلغ مساحته ٤.٣٥ × ٤.٥٠م والى الجنوب من البئر بنيت بشكل ملاصق له دائرة قطرها ٦.٨٥م تشبه التي وجدت في الابار السابقة ولها نفس الوظيفة.

الترميمات

يظهر من موقع قصر الطوبة الذي بني على الجانب الشرقي لوادي الغدف، أن هناك سواء في اختيار الموقع لان الدراسات الجيولوجية تدل على أن جريان المياه في المناطق ذات الالتواءات يؤدي إلى حت الجهة المقابلة للماء مباشرة وإلقاء الحمولة على الجانب الاخر، وربما يفسر هذا سبب الإنهيارات في الجزء الغربي من القصر.

ونتيجة لتسرب المياه من الوادي المجاور فإن أساسات السور الشرقي والجنوبي قد كشفت وتردمت المداميك العلوية مع فقدان العديد من الحجارة، ونتيجة لذلك قامت دائرة الآثار العامة بإجراء ترميمات للقصر وعلى النحو التالي.

الترميم الأول عام (١٩٧٥)، وقد تركزت الاعمال على:

اولا: تحويل مجرى المياه بحيث تعود الى الوادي.

ثانيا: عمل سد ترابي يمتد من الجوانب لمنع دخول المياه إلى القصر.

ثالثا: تم ترميم أساسات السور الشرقي وأعيدت الحجارة المفقودة إلى مكانها.

الترميم الثاني عام (١٩٧٩): تم تنفيذ مشروع إنقاذ القصر وشملت أعمال الإنقاذ.

اولا: بناء سد ترابي لمنع تدفق المياه لمنطقة القصر.

ثانيا: تنظيف اساسات القصر وصبها بالاسمنت، والمباشرة في بناء المداميك المفقودة واستبدالها بحجارة جديدة لدعم جميع واجهات القصر، لكي لا تتهدم وتندثر.

ثالثا: تنظيف بعض الغرف الداخلية للقصر من جراء اطم المتراكم نتيجة للهدم الذي اصاب القصر، حيث بلغ ارتفاع الطمم في بعض الغرف حوالي مترين تقريبا.

النتيجة

يعود بناء قصر الطوبة إلى العصر الأموي وتحديدا إلى الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولم يكتمل بناء القصر بسبب مقتل الخليفة.

كان لعناصر المناخ السائدة في منطقة قصر الطوبة التأثير الواضح في عمارة القصر ويبدو أن عنصر الحرارة كان له التأثير الأكبر من بين العناصر المناخية وله النصيب الاكبر من اهتمام الأمويين عند تصميم القصر لما لهذا العنصر من تأثير كبير في توفير الراحة المتعلقة بالمحيط الحراري، وقد ظهر هذا التأثير في التقسيم الداخلي للمخطط من توفير الراحة المتعلقة بالمحيط الحراري، وقد ظهر هذا التأثير في التقسيم الداخلي للمخطط من خلال الساحات المكشوفة، الأسوار والجدران، نظام التسقيف وأخيرا الابواب والنوافذ.

تأثير العناصر الأخرى كالإشعاع الشمسي فنلاحظ تأثيره في توجيه القصر نحو الجنوب وعلى جعل استطالة شكلة على محور شرق غرب وذلك للاستفادة منه في فصل الشتاء، أما الرياح فقد أثرت في

تصميم الأبواب والنوافذ في القصر وأخيرا الأمطار التي تتصف في تغيراتها الكبيرة وبعدم انتظامها ونتيجة لذلك ظهر تأثيرها في وجود اربعة ابار عميقة تغذي القصر بالمياه على مدار السنة.

ظهور تأثير العمارة السورية في عمارة قصر الطوبة وتتلخص تلك التأثيرات بما يلي:

مخطط القصر: فالاطار العام للمخطط ذو شكل هندسي منتظم يأخذ الشكل المستطيل من الخارج ولكنه من الداخل عبارة عن مربعين متجاورين كل مربع منها يكون بناء مستقل بذاته ويتصلان مع بعضهما بواسطة باب عبر الجدار الذي يفصلهما من خلال ممر طويل، ويظهر تأثير العمارة السورية هنا في الشكل المربع الذي اعتمده الامويون أساسا لمخططات قصورهم، والذي استمد من الحصون العسكرية في فترة الحكم البيزنطي.

وجود الساحة المكشوفة التي تتوسط كل قسم من قسمي القصر وقد ظهرت قبل ذلك في قصر المشتى الذي ينسب أيضا الى الخليفة الأموي الوليد بن يزيد،ويعتبر المشتى أحد الأمثلة الهامة للعمارة الإسلامية الاولى في الاردن و الساحة التي تتوسطه من الأمثلة الأولى للعمارة الإسلامية،وقد ظهرت الساحة المكشوفة في عدد من القصور الأموية كقصر الحرانة وخربة المفجر وقصر الحير والمنية.

نظام الوحدات السكنية حيث وجدفي كل قسم من قسمي قصر الطوبة اربع وحدات سكنية يتألف كل منها من أربع غرف لها ابواب تفتح على ساحة مكشوفة في الوسط.

وجود المحراب اذ نلاحظ وجود اربعة محاريب في الطوبة يأخذ مسقطها الشكل الصفي دائري وقد وجدت في التجويف الداخلي للايواج.

استخدام الحجر كمادة بناء رئيسة في فناء الطوبة:فقد بني منها السور الذي يتكون من جدارين متوازيين ملئ الفراغ بينهما بالملاط و الحجارة الصغيرة كما دخلت هذه المادة في بناء الأيواج،والمداميك الأولى في الجدران التي تعلوها مداميك الطوب.

ظهور تأثير العمارة الفارسية في عمارة قصر الطوبة ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

تحصين أسوار القصر:ظهر في قصر الطوبة ثلاثة أنواع من الأبراج،الأبراج الركنية شبه الدائرية،الأبراج المربعة،الأبراج نصف الدائرية،وقد ظهرت الابراج الركنية والأبراج نصف الدائرية في تحصينات الأسوار الفارسية.

نظام التسقيف: يلحظ تأثير العمارة الفارسية في طوازّ السقف،حيث كان سقف قصر الطوبة على شكل أقبية مدببة Tunnel-Vaults،وقد ظهر هذا النظام من التسقيف في عدد من سقوف القصور الفارسية كايوان كسرى في المدائن في العراق وايوان الكرخ في مدينة الكرخ وقصر فيروز أباد.

نوافذ القصر:ظهرت نوافذ قصر الطوبة بشكلين الأول الشكل الدائري Bull-eye والشكل الثاني نوافذ ذات عقد مدبب وهي ذات اصل فارسي.

استخدام الطوب المشوي (الاجر): فقد استخدم الطوب كمادة بناء رئيسة بعد الحجر في بناء قصر الطوبة ومن هذه المادة اخذ القصر تسميته. واستخدمت كذلك في بناء المداميك العلوية للجدران المستندة على مداميك من الحجر وفي بناء الاقبية المدببة وبناء أقواس المداخل والنوافذ.

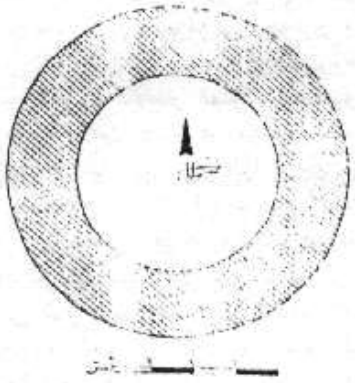

مخطط البئر الثاني

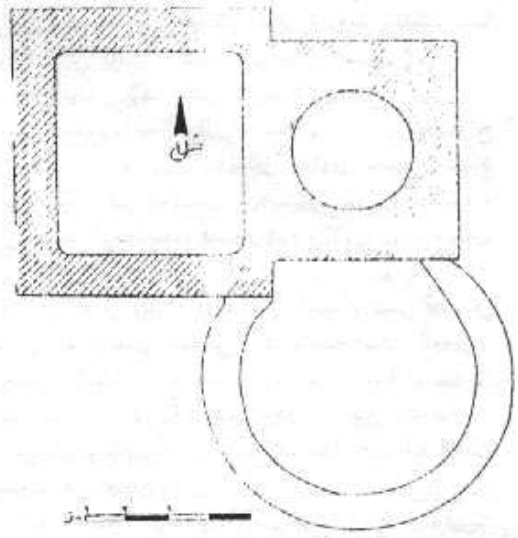

مخطط البئر الأول

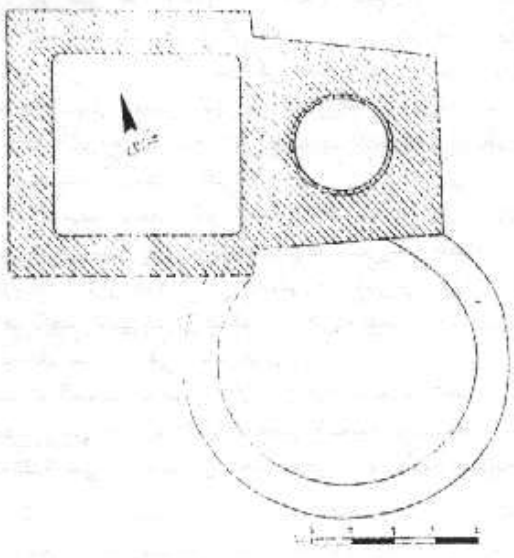

مخطط البئر الرابع

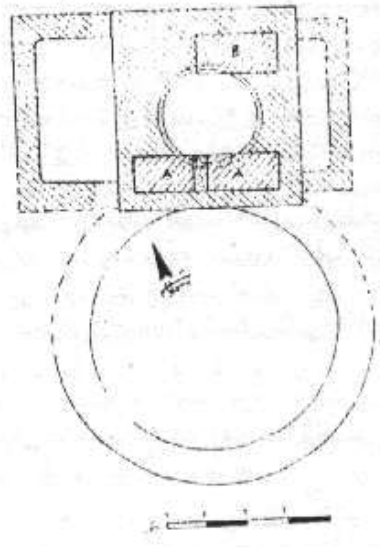

مخطط البئر الثالث

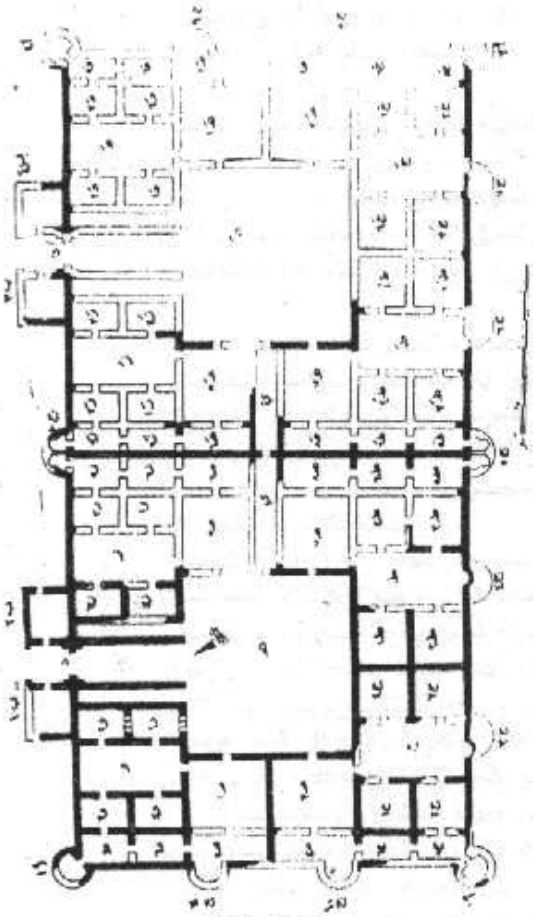

مخطط قصر الطوبة

وادي الكفف والطوبة الرئيسية الأخرى في منطقة الدراسة (الدرلا الدوقراطي الشمالي: نقلاً عن خارطة الأردن ١٩٩٢)